القسم الأول

علم الاجتماع : أسسه ومناهجه

الفصل الأول : العناصر الأساسية للحياة الاجتماعية .

الفصل الثانى : العمليات الاجتماعية الأساسية .

الفصل الثالث : دراسة المجتمع .

الفصل الرابع : العلوم الاجتماعية والتاريخ والفلسفة .

الفصل الخامس : مناهج البحث الاجتماعى وأدواته .

الفصل الأول

العناصر الأساسية للحياة الاجتماعية

يعمد الناس فى كل مكان إلى تطوير أنشطة متخصصة لمواجهة التحدى الذى تفرضه عليهم مشكلات تطوير وتدعيم وتنظيم حياتهم المشتركة . ويعد تنظيم العمل أول مبادئ الحياة الاجتماعية . وهو عبارة عن تنظيم محكم للأفعال المتباينة التى تستهدف مواجهة مقتضيات الحياة اليومية فى ظل الظروف الاجتماعية المختلفة . ويضطرنا تباين الأنشطة الإنسانية وتخصيصها إلى تطوير مجموعة من المصطلحات التى تتميز بقدر ملائم من التباين ، وقدر كاف من التخصص يناسب الظواهر التى نتصدى لدراستها .

وكثيرًا مايوجه النقد إلى علماء الاجتماع لاستخدامهم لغة متخصصة . وشغفهم الواضح بابتكار كلمات جديدة ، فى الوقت الذى يضفون فيه على المصطلحات القديمة المألوفة معانى جديدة كثيرًا ماتكون غريبة ، والحق أن هذه الاتهامات لها مايبررها فى الغالب . ولو أنها كثيرًا أيضًا ماتتجاوز المنطق السليم . فالمناقشة العلمية المنظمة سوف تصبح أمرًا مستحيلا إذا لم يستخدم الباحث مصطلحات على شئ من التحديد الدقيق . وبدون اللغة الغنية المتخصصة يصبح الاتصال العلمى شيئًا مرهقًا وقاصرًا فى نفس الوقت . بل إنه حتى فى الإنسانيات أدت الرغبة فى مزيد من الدقة فى التحليل إلى وضع مجموعة من المصطلحات الفنية الدقيقة كما يشهد بذلك أى مطلع على حركة « النقد الجديد » فى الأدب .

والواقع أن مصطلح علم الاجتماع قد أصبح مستقرا نسبيا ، على الأقل بالنسبة لكثير من المفاهيم المحورية . ومنذ عام ١٩٠٠ تضمن كشاف أولى للمجلات الكبرى فى علم الاجتماع وهى مجلة الحولية الاجتماعية – تضمن كثيرًا من المصطلحات التى تعد مصطلحات قياسية فى الاستخدام السوسيولوجى المعاصر. من هذا مثلا التركيز الحضرى ، الطائفة الدينية ، العنصر (العرق) . السنن الأخلاقية . الزواج الاغترابى التفكك الأسرى ، التشقق الاجتماعى ، النزعة إلى الامتثال ، الطبقات . الطبقة المغلقة (الطائفة) ، الاتحادات ، التكيف . والحقيقة أن المشكلة لا تكمن أساسا فى المصطلحات نفسها ، وإنما فى عدم الاتفاق حول تعريفها ، وتضارب معانيها ، وعدم الاتفاق على أسلوب واحد فى استخدامها . فتلك هى المشكلات الأساسية فى علم الاجتماع ، ونجد

فى هذا الصدد أن علم الاجتماع فى موقف يتناقض تناقضًا حادا مع العلوم الطبيعية . ومع ذلك فالمشتغلون بعلم الاجتماع متفقون فيما بينهم على المفاهيم الأساسية .

وأيًا كانت أهمية المصطلحات ، فإن تعريفات المصطلحات الفنية فى أى ميدان أقل أهمية بكثير من استخدامات تلك المصطلحات فى تحليل موضوع العلم . وبرغم تسليمى الشديد بهذه النقطة ، فقد قررت عدم تقديم مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية الأساسية فى صورة قائمة تعريفات مبتسرة وموجزة ، واخترت بدلا من هذا أن أقدم تلك المصطلحات بشكل تدريجى فى ثنايا استعراض النظرة إلى الإنسان فى المجتمع ، وتوضح مشكلات التحليل التى تواجه عالم الاجتماع ، الذى يأمل فى إثراء معرفتنا وتعميق فهمنا للعمليات الاجتماعية .

وقد قمت على سبيل التمهيد بتقديم عرض موجز للحد الأدنى من شروط الوجود الاجتماعى الإنسانى ، أو متطلبات ذلك الوجود ، وهى تعد الشروط التى يتحتم على أى وحدة اجتماعية أن تفى بها إذا ما أرادت حياتها أن تستمر وتتدعم عبر الأجيال ، وتمثل أساليب الوفاء بتلك الشروط مايطلق عليه سبيل التمييز الفعل الاجتماعى ، تمييزًا له عن الفعل الإنسانى الذى لا يختلف عن سلوك التدريبات الأخرى . ومن أجل حل المشكلات الأساسية التى يواجهها الإنسان فى حياته قام بتطوير مجموعة من أنماط الفعل التى تعتبر الأشكال الأساسية للتنظيم الاجتماعى . وتتراوح تلك الأشكال مابين أبسط العادات الاجتماعية . كعادات التحية عند اللقاء وعند الافتراق مروراً بالمستوى المتوسط من حيث الحجم ، ودرجة التعقيد والاكتمال - كالمجتمع المحلى مثلا - وصولا إلى المجتمع المكتفى بذاته ، الذى يمثل أكبر وحدة للتحليل فى علم الاجتماع وتخلق العلاقة الاجتماعية كافة تلك الوحدات . وهى تمثل فى نفس الوقت العنصر المشترك فيها جميعًا مما دفع بعض الاجتماعيين إلى الاعتقاد بأنها الموضوع المتميز حقيقة للدراسة فى علم الاجتماع ، ونحن وإن كنا لا نقبل هذا الرأى بالضرورة ، إلا أننا نسلم مع ذلك بأهمية وجهة النظر هذه . ومن ثم نتبع ذلك بمناقشة موجزة للجهود التى بذلت لتطوير مصطلحات خاصة لوصف الجوانب المختلفة لأية علاقة اجتماعية . وكذلك عرض بعض نماذج من تلك الجهود ، استخدمت هذا الاتجاه فى البحث .

الحد الأدنى من الشروط اللازمة
للحياة الاجتماعية الإنسانية

إن الطبيعة المميزة للإنسان وأنه قادر على تنظيم الكثير من جوانب حياته ، وهو يفعل ذلك فعلا ، حتى تصل إلى درجة من التبلور والتعقيد الذى يفوق كل تصور . وهذا الاتجاه نادر كل الندرة . بل يكاد يكون منعدمًا كلية فى عالم الحيوان والحشرات . إن الحيوانات قد تكون مزودة بوسائل بسيطة للاتصال ببعضها البعض ، كما هو الحال بالنسبة للإشارات المستخدمة للتنبيه إلى وجود عدو أو طعام ، ولكنها لا تملك لغة يمكن أن تستخدمها فى تأليف حكايات شعبية محبوكة . وتؤلف بها الشعر ، وتكتب بها الأعمال الروائية . حقيقة أن هناك بعض الحيوانات والحشرات التى تؤدى « رقصات » وعقدة ، ولكن هذا النشاط يخضع خضوعًا صارمًا للغرائز ، ويتميز بنشأته بين النوع كله على وجه العموم ، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا ببعض الأفعال كالتزاوج مثلا . وهكذا لم تستطع الحيوانات ولا الحشرات أن تخلق رصيدًا من الرقصات التى تصلح لمختلف المناسبات ، أو لا تصلح ببساطة لأى مناسبة سوى الترويح والمرح ، كذلك الطيور يمكن أن تبنى أعشاشاً معقدة ، والعنكبوت قد ينسج بيوتًا رائعة ، ولكن لا يوجد حيوان أو طائر يستطيع أن يبنى المبانى ويزينها بما يفوق بكثير احتياجه المباشر إلى السكن وإلى الإيواء كما يفعل الإنسان فى ميدان فن العمارة الراقى .

إن ميل الإنسان إلى تنظيم عناصر السلوك الإنسانى تنظيمًا محكمًا قد تحجب ببساطة الحقيقة التى مؤداها ، أن هناك خلف ذلك الغشاء الخارجى تكمن نواة صلبة من مشكلات الوجود الأساسية التى يتعين عليه أيضًا أن يتصدى لها . وليست تلك المشكلات مقتصرة على مجرد البقاء **الفيزيقى** للكائن العضوى المنعزل أو المستقل ، إذ أنه لما كان الناس يعيشون دائمًا فى جماعات ، فإنهم يواجهون مجموعة من المشكلات الأساسية الخاصة بالحياة **الاجتماعية** ، التى لا تقل أهمية عن ذلك .

ولا شك أن كل جماعة قائمة استطاعت أن تستمر فى الوجود لعدة أجيال ربما تكون قد توصلت إلى طريقة معينة لإشباع تلك الاحتياجات ، وإلا لما استطاعت البقاء طوال تلك المدة . وإذا كانت الحلول التى توصلت إليها قاصرة نسبيًّا ، فإن المجتمع سوف يعانى من اختلال فى أداء وظائفه ، ويتعرض لكثير من الضغوط ، وربما قضى عليه بالتفكك إذا لم يتوصل على الفور إلى حلول أفضل . أما إذا كانت استجابة المجتمع للتحديات الأساسية التى تتعرض لها الحياة الاجتماعية استجابة مرضية بالقدر الكافى ، فإن النسق الاجتماعى يمكن أن يستمر لأمد طويل . ولما كانت

جميع الأنساق الاجتماعية المتطورة تشبع الحد الأدنى من متطلبات الوجود إلى حد ما ، فإنه يصبح من السهل أن نأخذ تلك الشروط كشيء ملم به ، وننتقل مباشرة إلى مناقشة النظم الرئيسية كالأسرة مثلا . إلا أن هذا ليس ملائمًا فى الحقيقة . فالحد الأدنى من الشروط التى لاغناء عنها للحياة الاجتماعية تمارس تأثيرًا عميقًا ، بحيث إن مفهوم المجتمع لايمكن أن يكتمل أو يستوفى حقه من التعريف ، مالم نأخذ فى اعتبارنا الدور الذى تلعبه تلك المشكلات الأساسية فى تنظيم وتحديد الفعل الاجتماعى بكافة أنواعه .

والمشكلة التى نواجهها هنا شبيهة بتلك المشكلة المطروحة فى علم الحياة : فما هى الشروط التى يجب تحقيقها للحفاظ على حياة كائن عضوى معين ؟ والصورة السوسيولوجية من ذلك السؤال هى : ماهى الشروط التى يجب أن يحققها المجتمع ، إذا ما أريد للحياة الاجتماعية أن تبقى وتستمر ؟ وهناك عدة مفاهيم مختلفة غطت الإجابة على هذا السؤال ، وتعتمد واحدة من أفضل المحاولات الحديثة فى هذا الصدد على مفهوم : « الشروط الوظيفية لأى نسق اجتماعى » . وقد قامت مجموعة من تلاميذ العالم الأمريكى تالكوت بارسونز Parsons فاقترحت – تحت هذا العنوان – قائمة تضم نحو عشرة شروط يتحتم على أى مجتمع أن يحققها . ابتداء من الاحتياجات الواضحة . كالحاجة إلى نسق للتواصل ، حتى الشروط الأقل وضوحا ومباشرة ، كالحاجة إلى « تنظيم التعبير العاطفى »[1] .

ولعله من السهل – برغم ماقد يكون فى ذلك من التبسيط الزائد – أن نصنف المشكلات المتكررة التى تواجه أى مجتمع إلى ثلاث مجموعات رئيسية – تتعلق كل مجموعة منها بنمط مختلف من أنماط التكيف مع حقائق الحياة الأساسية .

ويعتبر التكيف مع البيئة الخارجية الطبيعية والإنسانية على السواء بمثابة المحور الأساسى للمجموعة الأولى من الشروط فإذا أرادت جماعة ما أن تستمر فى الوجود ، فلابد لها من تطوير تكنولوجيا تسمح لها بتوفير الحد الأدنى من الطعام ، والملابس ، والمأوى المناسب لحجمها ، وبيئتها الجغرافية ، ومناخها وغير ذلك من الظروف ، وعلاوة على مواجهة تلك المشكلة القصيرة الأمد . فإنه يتعين على الجماعة أن تستعد لتوفير مقومات وجودها فى المدى الطويل . ويتطلب هذا ، أولا وقبل كل شيء ، توفير الغذاء والرعاية للصغار الذين ليسوا قادرين بعد على إشباع احتياجاتهم الخاصة أو حماية أنفسهم . ولا يقتصر مفهوم الحماية على مجرد دفع أخطار الطبيعة والحيوان ، وإنما على دفع الأخطار الإنسانية أيضًا ، ولذلك يندرج تحت هذا المفهوم تنظيم السلوك الدفاعى والهجومى ضد الجماعات الإنسانية الأخرى .

كذلك نجد أن التكيف مع الطبيعة الاجتماعية الحيوية للإنسان يطرح مجموعة ثانية من المشكلات . فالمجتمع لايستطيع أن يستمر فى البقاء إذا فشل فى إشباع الاحتياجات الإنسانية الفردية لأعضائه ، وهذه الاحتياجات عند الإنسان لاتقتصر على الطعام واللباس ، وإنما تتضمن كذلك إشباع بعض المتطلبات النفسية والثقافية ، والتى لاتبدو فى أى شىء بنفس الدرجة الموجودة بها عند الحيوان ، ولم يستطع العلماء الاجتماعيون حتى الآن أن يضعوا قائمة بالاحتياجات الفردية المميزة التى يتعين على أى مجتمع أن يوفرها ، كما أننا لانستطيع أن نحدد بيقين أى الاحتياجات المشتركة يرجع فى الأصل إلى الوراثة الحيوية عند الإنسان ، وأيها ثمرة تاريخه الطويل فى الحياة الاجتماعية . إلا أن هناك اتفاقًا عامًا على أى حال حول أنماط الاحتياجات الفردية التى يجب أخذها فى الاعتبار ، وهى تتضمن الاحتياجات الواضحة إلى الطعام والمأوى ، والحاجة البالغة التعقيد إلى التنفيس الجنسى . ويرتبط بتلك ارتباطًا وثيقًا طائفة أخرى من الاحتياجات – التى ليست مفهومة بنفس الدرجة من الوضوح من ناحيتها البيولوجية – وهى الحاجة إلى الاتصال المادى والنفسى مع البشر الآخرين لممارسة الحياة ، وللتنفيس عن التوتر أو التخلص منه ، أما الاحتياجات التى تعد أكثر بعدًا من هذا عن البناء الفسيولوجى المتميز فهى الاحتياجات التعبيرية . من ذلك النوع الذى يبدو عادة فى الرقص ، وفى الفنون ، وربما كذلك فى السحر ، وفى الحرب . وهناك احتياجات أخرى كالحاجة إلى الإحساس بالمكانة ، واحترام النفس ، لا نستطيع أن نقيمها من الناحية الفسيولوجية على الإطلاق ، ولكنها تكاد تكون عامة فى كافة أشكال الحياة الاجتماعية . بحيث إنه يتعين علينا أن نفترض أنها راسخة متأصلة فى الطبيعة الإنسانية الإجتماعية الحيوية الأساسية عند البشر .

ويهتم كل مجتمع . بلا استثناء . اهتمامًا خاصًا بالجنس والسن والأحداث ذات الأهمية الحاسمة من الناحية البيولوجية كالميلاد والموت . ويحرص على ابتكار أساليب التكيف معها . كذلك تهتم أغلب المجتمعات بالفروق فى المزاج الفردى ، على الرغم من أنها أقل انتظامًا واطرادًا . وتتخذ كافة المجتمعات ترتيبات خاصة لمواجهة المرضى . وحيثما توجد حياة اجتماعية ، يوجد نمط متميز للترويح وقضاء أوقات الفراغ ، كما يوجد نوع من التنظيم للحرف والفنون ، ويوجد كذلك شكل من أشكال الدين ، الذى يتم التعبير عنه فى مجموعة خاصة من الأفكار أو الأساطير وكذلك أيضًا مجموعة من الطقوس التى تتميز بقدر واضح من الأحكام والتنظيم .

وبوسعنا أن نقدم عددًا من التفسيرات المقنعة لهذه التنظيمات المحكمة للحياة الاجتماعية الإنسانية[٢] ولكن المؤكد أن هناك قوة هامة هى التى تخلق تلك الأشكال الثقافية العامة ، هى

حاجة الفرد إلى بعض الإشباعات . وهى الحاجة التى تتجاوز الحد الأدنى من احتياجه إلى الطعام ،والمأوى ، والملبس ، وقد تعتبر هذه الاحتياجات اجتماعية حيوية أو نفسية ، ويتعين على كل مجتمع أن يخلق نوعًا من التكيف لها .

ويخلق التكيف مع ظروف الحياة الجمعية مجموعة ثالثة من المشكلات التى يتحتم على كل مجتمع أن يحلها . ومن الواضح أن الإنسان لا يستطيع البقاء فى بيئته الطبيعية دون حياة اجتماعية . وربما كانت الحاجة إلى إشباع احتياجاته الاجتماعية الحيوية أو احتياجاته النفسية هى التى تدفعه إلى الحياة المشتركة . ولكن ما إن يجد نفسه يحيا فى جماعات ، حتى يواجه على الفور مجموعة خاصة من المشكلات التى تتجاوز المستوى الفردى . ذلك أن الأفراد الذين يعيشون معا يجب أن يخلقوا قدرًا من التنسيق والتكامل بين أفعالهم ، إذا ما أرادوا أن يتجنبوا الخراب والفوضى . والملاحظ بالنسبة الجمعية للحيوانات والحشرات أن الغرائز تتكفل بتحقيق هذا التنسيق . أما فى المجتمع الإنسانى فإنه يعد فى مجموعه تقريبًا ثمرة الاختراع الاجتماعى . إذ يجب على الإنسان أن يضع قواعد محكمة وإجراءات منظمة لتحديد الأشخاص الذين يشغلون مواقع معينة ، وينسق حركة الأفكار ، وينظم استخدام القوة وقدرة البعض على الخداع . وينظم السلوك الجنسى . ويتحكم فى ظروف التبادل ، وهكذا إلى آخر السلسلة الكاملة للعلاقات الإنسانية بأنواعها . ومن خلال عملية وضع هذه القواعد ، يتوصل الإنسان إلى خلق الوحدات الأساسية للتنظيم الاجتماعى . ولقد كان اختراع التنظيم الاجتماعى أكثر أهمية وأبعد تأثيرًا من اختراع الأدوات فى تمييز العالم الإنسانى عن العالم الحيوانى .

وحدات التنظيم الاجتماعى

إن الإنسان قادر على الاختراع بلا حدود ، غير أن أعظم اختراعاته هو عدم الاختراع ، أعنى مهارته فى نقل أساليب السلوك الأساسية التى تعلمها من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق سليمة ودون تغيير فأغلب أعضاء المجتمع يلدون الأطفال ويربونهم ، ويبنون البيوت ، ويصيدون الأسماك ، ويقتلون الأعداء بنفس الطريقة إلى حد كبير . وتستمر تلك النماذج السلوكية ثابتة لفترات طويلة نسبيًا من الزمن . وتؤدى عملية النقل الثقافى هذه إلى اقتصاد هائل فى الجهد من وجهة نظر أبناء الجيل الجديد ، وبالنسبة للمجتمع ككيان تاريخى مستمر فى البقاء . وبفضل تلك العملية لا يحتاج كل جيل إلى أن يعيد اكتشاف كل منجزات أسلافه ، مع مراعاة ما يكلفه ذلك من وقت طويل وتعرض لأخطار الوقوع فى الفشل . ولا يتم بهذه الطريقة الحفاظ على الثقافة

فحسب ، وإنما تتأسس بهذه الطريقة نواة الحياة المشتركة القائمة على المعلومات المشتركة والفهم المشترك . ولما كان أبناء كل جيل يتلقون نفس الميراث الثقافى إلى حد ما عن الجيل السابق أصبح من الميسور عليهم أن يرتبطوا ببعضهم البعض وأن ينسقوا أفعالهم على نحو أكثر فعالية .

ويطلق الأنثروبولوجيون اسم **ثقافة** الجماعة على المجموع الكلى لكافة الأشياء ، والأفكار ، والمعارف ، وأساليب السلوك ، والعادات ، والقيم ، والاتجاهات التى ينقلها كل جيل فى المجتمع إلى الجيل التالى عليه . ويعد نقل الثقافة البديل الإنسانى للغرائز التى تتسلح بها معظم الكائنات الحية الأخرى لمواجهة بيئتها والارتباط ببعضها البعض إلا أن هذه الثقافة أكثر مرونة من الغرائز ، ويمكن أن تنمو ، بمعنى أنها تستطيع أن تختزن معلومات جديدة بشكل يفوق فى سرعته ما تستطيع أن تؤديه عملية الطفرة والتطور البيولوجى لإثراء المخزون الغرائزى لأى نوع آخر ، من الأساليب الشعبية إلى النظم :

العادة الاجتماعية custom أو كما تسمى فى بعض الأحيان العادات الشعبية folkways هى أكثر المصطلحات استخداماً للدلالة على الأساليب القياسية المتميزة للسلوك الشائعة بين أبناء ثقافة معينة ، ويمكن استخدام المصطلح للدلالة على فعل[٣] اجتماعى بالغ البساطة ، مثل رفع الرجل قبعته وإلقاء عبارة التحية – مرحباً – عندما يمر بامرأة يعرفها كما يمكن استخدامه فى الدلالة على مجموعة كبيرة معقدة من الأحداث كالخطب ، والاحتفالات ، والاستعراضات ، والألعاب النارية التى تمارس احتفالا بعيد الرابع من يوليو فى الولايات المتحدة ، فالعادة الاجتماعية إذن هى أن أى مجموعة من الأفعال تتصف بالقياسية وبقدر من التميز . وتمارس بشكل منتظم تبعاً لنمط يقبله عامة المشتركين فى جماعة معينة ، أما إذا كانت العادة لاتمارس بانتظام وحسب ، وإنما تحاط علاوة على هذا بنوع من العواطف والقيم (مثلا عندما يؤدى الخروج على نمط السلوك المتوقع جزاءات عنيفة على الفرد من جانب الجماعة) فإنها تعرف فى هذه الحالة بأنها جزء من – السنن الأخلاقية ، mores ويمثل التمييز بين العادات الشعبية والسنن الأخلاقية صلب عالم الاجتماع الأمريكى البارز – ويليام جراهام سمنر[٤] .

على أن الارتباط بين العادات الاجتماعية ، ليس ارتباطاً عشوائياً . إذ يمكننا أن نتعرف فى كل مجتمع إنسانى على مجموعات محددة أو مركبات محددة من الأساليب التقليدية فى السلوك ، التى تدور حول مشكلة معينة ، أو تستهدف تحقيق هدف معين . ويطلق على مجموعة الأساليب التقليدية (أو الاعتيادية) هذه اسم – الدور Role . ويتم تحديد الأدوار وقبولها بشكل عام من جانب الأفراد المشتركين فى نسق اجتماعى معين . فهى لذلك مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمجموعة من

التوقعات التى تحدد أى الأفعال تناسب أى الأشخاص ، وتسلسل تلك الأفعال ، والظروف التى تتم فى ظلها ، كما أن هناك بعض الأدوار المفتوحة التى يمكن تكليف أى شخص بها . فالطفل الذى يطلب منه أن يذهب ليجمع أوراق الشجر التى تساقطت على الحشائش قد كلف مؤقتًا بدور معين عندئذ يتوقع منه أن يتبع تسلسلا معينًا من الأفعال متفق عليه بشكل عام . بما فى ذلك وضع الأداة التى استخدمها فى جمع العشب مكانها فى جراج البيت بعد أن يفرغ من عمله ، وقد يطلب من أى طفل آخر فى الأسرة أن يؤدى هذا العمل نفسه ، وسينتظر منه أيضًا أن يتبع نفس الخطوات .

إلا أن هناك أدوارًا أخرى أكثر تخصصًا ومن ثم تصبح وقفًا على أفراد بعينهم ، وعندما توجد هذه الدرجة من التخصص ، وبالذات عندما نستخدم اسمًا معينًا ، أو لقبًا ، أو تحديدًا معينا لشاغل دور معين ، فإننا نكون بصدد – وضع Position اجتماعى محدد ، ويعد مصطلح « مكانة » status أشيع المصطلحات للدلالة على هذا الوضع . إلا أنه كثيرًا مايحدث نوع من الخلط بين هذا المعنى ومعنى آخر يقترب من مصطلح الهيبة Prestige أو وضع الشخص فى المجتمع المحلى . كما نجد ذلك عند « فانس باكارد » فى كتابه « الباحثون عن المكانة » * ، ولهذا سوف نقتصر على استخدام مصطلح « وضع » أو « الوضع ذى المكانة » Status-position ومن الواضح أننا فى داخل أسرتنا لانعترف بوجود وضع ذى مكانة معينة لجامع أوراق الشجر من فوق الحشائش . أما فى الميدان المهنى ، حيث درجة التخصص أعلى من ذلك بكثير ، فإننا نعترف ببعض الأوضاع الاجتماعية ذات الاختصاص المحدود – كالوقاد ؛ مثلا الذى يعمل على ظهر سفينة تعمل بالفحم ، أو قطار يسير بالفحم .

فالوضع ذو المكانة إذن عبارة عن تسمية معترف بها من المجتمع على وضع الفرد فى وسط اجتماعى على خلاف الوسط الجغرافى ، وإن هذا الوضع ينتسب الأفراد ، وهو يضفى على شاغله مجموعة من الحقوق والواجبات ، وتمثل تلك الحقوق والواجبات الدور الذى يتوقع من شاغل الدور أن يؤديه . ويمكن أن تتباين الأوضاع فى مدى الأدوار التى تتضمنها وفى درجة تخصص تلك الأدوار ، فأنا فى الوضع ذى المكانة الذى أشغله كراكب فى إحدى السيارات العامة يكون حقى الأساسى هو تيسير انتقالى إلى هدفى بشكل مباشر قدر الإمكان . أما واجباتى فتقتصر أساسًا على دفع أجر الانتقال . وعدم التسبب فى أى إزعاج للركاب الآخرين . ولكن عندما أنتقل إلى وضع الزوج أو الأب فإننى أكتسب مجموعة كبيرة مركبة من الأدوار التى تنطوى على سلسلة متنوعة

---

* Vance Packard, The Status Seekers

أشد التنوع من الحقوق والواجبات .

ويمكن بصفة عامة التميز بين السبل التى تؤدى إلى اكتساب الوضع ذى المكانة على أساس ما إذا كان الوضع موروثًا أو مكتسبًا . فالوضع ذو المكانة الموروثة هو ذلك الذى يكتسبه الفرد تلقائيا – إلى حد ما – على أساس المولد . ويمثل العمر والنوع (ذكر أو أنثى) أبرز أسس ذلك النوع من الاكتساب الوراثى ، وغالبًا مايتدخل أيضًا اللون ، والطبقة المغلقة (الطائفة) ، والانتماء العائلى ، والدين فى تحديد ذلك النوع من الاكتساب ، أما الوضع ذو المكانة المكتسبة فهو ذلك الذى يمثله الفرد بسبب سلوك من جانبه معين أو إنجاز استطاع أن يحققه ، ويمثل العمل السياسى والمهنة أو التخصص – فى المجتمع الأمريكى مثلا – أهم نماذج الوضع المكتسب . وإن كنا نستطيع أن ننظر بنفس الطريقة إلى وضع كل من الزوج والزوجة ، أى باعتبارها أوضاعًا ذات مكانة مكتسبة ، وهناك بعض الأوضاع المكتسبة التى قد لاتكون متاحة إلا بالنسبة لمن تتوفر فيهم مؤهلات سابقة يمكن اكتسابها هى الأخرى ، كما أن هناك كثيرًا من الأوضاع التى كانت متاحة على أساس الإنجاز أساسًا . ثم استحوذت عليها جماعة معينة ، وحولتها إلى أوضاع موروثة .

وكما تتجمع الأفعال الاجتماعية فى صورة عادات اجتماعية ، وكما تأتلف مجموعات من تلك الأفعال فى صورة أدوار ، كذلك يمكن أن يأتلف بناء أكثر تعقيدًا من الأدوار – التى تدور حول نشاط معين على قدر من الأهمية بالنسبة للمجتمع ، أو حول حاجة اجتماعية معينة – فى صورة **نظام اجتماعى** ، ويرى رويتر Router فى القاموس الذى وضعه من مصطلحات علم الاجتماع أن نعرف النظام الاجتماعى بأنه : « ذلك النسق المنتظم من الممارسات والأدوار الاجتماعية التى تدور حول قيمة معينة أو مجموعة من القيم[٥] ، وتلك الأداة التى تنظم هذه الممارسات وتشرف على تنفيذ قواعد التعامل »[٦] .

وتمثل النظم الاجتماعية بؤرة الاهتمام فى ميدان علم الاجتماع . فهى بمثابة أحجار البناء الأساسية فى صرح المجتمع . ويختلف عدد النظم كما تتباين درجة تخصصها من مجتمع لآخر . وتتميز الحضارات الراقية وكذلك المجتمعات الصناعية الضخمة الصناعية الحديثة بالتخصص الشديد فى النظم التى يدور كل منها حول « مشكلة محددة » من مشكلات الحياة الاجتماعية ، كما تتميز تلك المجتمعات بالتنظيم الداخلى (المحكم للأنساق الفرعية) الموجودة داخل النظم الكبرى .

ولذلك يجب أن نميز بين النظم المحدودة والنظم الكبرى ، ومركبات النظم التى تمثل أنساقًا فرعية داخل المجتمع الكبير ، وهناك على الأقل أربع مجموعات أو مركبات نظم رئيسية ذات أهمية خاصة تتفق عليها غالبية علماء الاجتماع ، ولو أنه سيبدو واضحًا أن كل مجموعة من هذه

مجموعات الأربع يمكن أن تنقسم إلى عدة فئات أو وحدات أصغر .

المجموعة الأولى هى **النظم السياسية** وهى التى تتعلق بممارسة القوة ، وتتميز باحتكار الاستخدام المشروع للقوة . وتندرج تحت النظم السياسية تلك التى تنطوى على علاقات مع المجتمعات الأخرى بما فى ذلك الحرب . وهناك ثانيًا **النظم الاقتصادية** وهى التى تختص بإنتاج وتوزيع السلع والخدمات ثم **النظم التكاملية التعبيرية** ، وهى تضم النظم التى تتصل بالفنون ، والدراما ، والإبداع ، وهى المجموعة الثالثة فى هذه القائمة ، وتضم تلك المجموعة كذلك النظم التى تتناول الأفكار ، ونقل القيم التى يتوارثها المجتمع ، ولذلك يمكن أن ندرج المنظمات العلمية ، والدينية ، والفلسفية والتربوية تحت هذه المجموعة ، أما المجموعة الرابعة الأساسية فهى **النظم القرابية** التى تتركز أساسا حول مشكلة تنظيم العلاقات الجنسية ، وتهيئة إطار ثابت ومضمون لرعاية الصغار وتنشئتهم .

وعلى الرغم من أنه من المفيد . ومن الدقة إلى حد ما . أن ننظر إلى النظم باعتبارها تدور أساسًا حول مشكلة أساسية **واحدة** من مشكلات الوجود الاجتماعى ، إلا أنه من الخطأ أن نتصور أن إسهام كل نظام اجتماعى فى الحياة الاجتماعية يقتصر على هذا المجال الرئيسى فقط . ذلك أن كل مركب رئيسى من النظم يشارك فى حياة المجتمع ويساهم فيها بعدة طرق مختلفة ، فالأسرة على سبيل المثال قد تكون ، وهى فى الغالب كذلك . مؤسسة إنتاجية ، كما أنها تشارك باستمرار فى عملية توزيع السلع والخدمات ، كذلك النظم الاقتصادية لاتقتصر فقط على إنتاج السلع والخدمات وإنما يجب كذلك أن يكون لها نوع من النظام الداخلى ، الذى ينطوى على التدخل فى القوة السياسية ، وممارسة السلطة الشرعية ، وقد أدت هذه الاعتبارات بعلماء الاجتماع إلى أن يميزوا بين البناء الاجتماعى بمعناه التحليلى (النظرى أو التجريدى) وبمعناه المشخص الملموس . فهم عندما يتكلمون عن **الأبنية الشخصية** ، ويقصدون النظم التى لنا ألفة بها : كالأسرة ، والمحكمة ، والمصنع وما إلى ذلك . ويقصدون الأبنية التحليلية كافة الأساليب الاجتماعية ، الشائعة فى العديد من النظم المشخصة ، والتى يستطيع المجتمع من خلالها أن ينتج السلع ويوزعها ، ويتحكم فى علاقات القوة ويشبع كافة احتياجات المجتمع الوظيفية الأساسية الأخرى . فنحن مثلا عندما نتكلم عن « بناء السلطة » بالمعنى التحليلى لفنى أسلوب تنظيم السلطة وممارستها ، ليس فقط فى الشئون السياسية وإنما كذلك فى جماعة الجوار ، وفى الكنيسة ، والمدرسة ، والأسرة ، بل وفى الجماعات غير الرسمية أيضًا ، ولهذا يمكن القول بأن الأبنية التحليلية عبارة عن صور عقلية فرضية ، من إنتاج العقل ، يتم تجريدها من الواقع المشخص لمجموعة من النظم المعينة .

ويتكون **النسق الاجتماعى** Social system من مجموعة من النظم التى يعتبر الواحد منها أو بعضها بمثابة نسق فرعى . ويستخدم مصطلح النسق الاجتماعى ، شأنه شأن كثير من مصطلحات علم الاجتماع الأخرى . لوصف مستويات من التركيب والتعقيد متباينة تمام التباين . ولذلك ليس من المستغرب أن نتكلم مثلا عن النسق الاجتماعى لوحدة اجتماعية صغيرة ، كالقرية أو عصابات الطرق . أو لوحدة اجتماعية كبيرة كالأمة مثلا . ورغم مايسببه ذلك من غموض واضطراب ، إلا أن هذا المصطلح يمثل فى المرحلة الراهنة من تطور علم الاجتماع أداة لانستطيع أن نعمل بدونها .

وهناك ثلاثة عناصر لابد من مراعاتها عند تعريف **المجتمع المحلى** Community فالمجتمع المحلى يوجد :

١ – عندما تتجاوز مجموعة من الأسر فى منطقة جغرافية محدودة .

٢ – عندما يوجد بين أبناء ذلك المجتمع قدر ملحوظ من التفاعل الاجتماعى المتكامل .

٣ – عندما يتحقق لديهم الإحساس بالعضوية المشتركة ، أو بالانتماء المشترك الذى لايقوم على مجرد روابط القرابة الدموية فحسب . وتعد القرية الزراعية أكثر الأمثلة شيوعًا ، وأكثرها ألفة لنا ، وأكثرها قربًا إلى طبيعة الموضوع ، ففى مثل هذه القرية يعيش الفلاحون وأسرهم عادة فى علاقة جوار وثيق كما أن منطقة سكناهم المشتركة تكون محددة بوضوح ومعروفة لهم بصفتها كذلك ، ويتم القدر الأكبر من علاقات التفاعل بين ساكنى نفس القرية وبعضهم البعض . ويعتبر سكان القرية أنفسهم منتمين إليها . يعرفون اسمها ، ويسلمون بعضويتهم فى المجتمع المحلى ، وتتحدد هويتهم ويعاملون من جانب أبناء المجتمعات المحلية الأخرى تبعًا لمكانة القرية التى ينتمون إليها .

أما جماعة الجوار neighborhood فهى شكل أكثر تحديدًا من أشكال المجتمع المحلى ، ولكنها فيما عدا ذلك تتميز بنفس السمات ، فهى فى منطقة متميزة ومحددة مكانيًا ، وأعضاؤها يتفاعلون مع بعضهم البعض بشكل مكثف نسبيًا ، كما يشعرون بالانتماء المشترك . وتعد جماعة الجوار فى العادة أصغر وحدة سكنية يتناولها علم الاجتماع ، بعد الأسرة بطبيعة الحال . والمألوف ألا يوصف مجتمع الأسرة بأنه مجتمع محلى ، لأنه قائم فى المحل الأول على أساس القرابة .

وكلما ازداد حجم الجماعة التى تسكن منطقة معينة . كلما حدث تناقض يكاد يكون حتميًا فى احتمالات حدوث التفاعل بين أى شخصين يمكن أن يقع اختيارنا عليهما بالمصادفة وعندما تتناقص إمكانيات التفاعل بين العضو العادى وأى عضو آخر ، وتتجاوز فى تناقصها نقطة معينة ، تتفاعل قدرتنا على وصف ذلك المجتمع بأنه مجتمع محلى . بمعنى آخر إن مجرد الجوار المكانى لايخلق

وحده مجتمعًا محليًّا إن وضع بيانات التعداد بشكل تعسفى ميكانيكى على خريطة مدينة معينة ليست له أى علاقة ذات دلالة بالمجتمعات المحلية الطبيعية التى تتكون فى مختلف أجزاء المدينة ، فبأى معنى يمكن أن تعتبر العشرة ملايين نسمة الذين يسكنون مدينة نيويورك أعضاء فى مجتمع محلى واحد ؟ وربما يمكننا أن نجيب على ذلك بالقول بأن التفاعل الشخصى المباشر يمكن أن يستعاض عنه إلى حد ما بالتفاعل الرمزى ، الذى تساهم فى تحقيقه وسائل الاتصال الجمعى أما الإحساس بالعضوية المشتركة فيمكن تدعيمه عن طريق بعض المؤثرات الخارجية التشريعية أو السياسية التى تجعل الفرد ينظر إلى نفسه كجزء من مجتمع محلى معين .

وعلى الرغم من أن مجرد التجاوز المكانى لايؤدى تلقائيا إلى خلق مجتمع محلى ، فهل يمكن القول أن المجتمع المحلى يمكن أن تقوم له قائمة مع عدم وجود مكان إقامة مشترك ؟ ذلك هو جوهر المشكلة التى تثور عندما نتساءل عما إذا كانت بعض الشعوب المتفرقة فى أرجاء الأرض ، كالغجر أو الأرمن تكون أمة واحدة ، طالما أن أبناء الشعب الواحد لايسكنون منطقة مشتركة . إن إجابتنا على هذا السؤال تتوقف على تعريفنا للمجتمع المحلى . فإذا كنا نعنى بالمجتمع المحلى مجموعة من الناس الذين يسكنون منطقة إقامة مشتركة ، فإن الإجابة ستكون بالقطع « لا » أما إذا كنا نعرف المجتمع المحلى أساسًا فى ضوء كثرة التفاعل ، أو الإحساس بالعضوية المشتركة ، فإن الإجابة يمكن أن تكون « نعم » ومن المؤكد أن فكرة اعتماد المجتمع المحلى اساسًا على الإحساس أو الاعتقاد المشترك تبرز بوضوح فى بعض التعبيرات الشائعة مثل : « مجتمع الأشخاص المتجانسين فكريًّا » ، « ومجتمع العلماء الدولى » . ومن الواضح أن أيًّا من هذين المجتمعين المحليين لايشترك فى سكنى منطقة إقامة معينة ومحدودة .

فجوهر المجتمع المحلى هو الأساس بالرابطة المشتركة ، والاشتراك فى هوية واحدة ، وعضوية جماعة معينة تضفى قدرًا من الاحترام على بعض الأشياء المادية أو الروحية ، إلى جانب بعض الحقوق والواجبات إزاء أعضاء المجتمعات المحلية الأخرى ، ويمكن أن نحدد فيما يلى بعض أنماط المجتمعات المحلية . **فهناك مثلا مجتمع الإقامة** residence community ويطلق عليه المجتمع الأيكولوجى ، والرابطة التى تجمع بين أفراده هى الإقامة المشتركة فى منطقة مكانية محددة اجتماعيًّا : كالمركب العمرانى (أو مانسميه الحى المتكامل Compound) ، أو جماعة الجوار ، أو البلدة . أو القرية . أو المدينة . أو الإقليم ، أو الدولة . وهناك مصطلح **المجتمع المحلى الروحى أو النفسى** ، وهو ينطبق على أولئك الأفراد الذين يرتكز الإحساس بالعضوية عندهم على رابطة روحية تضم مجموعة من القيم ، أو الأصول ، أو المعتقدات وقد يكون كلا النوعين من

المجتمعات المحلية كامنًا إلى حد كبير ، أى يتمتع فقط بالقدرة على القيام بأفعال مشتركة ، وقد يكون نشطًا أو فعالا حيث يتم التفاعل بين أفراده بشكل منتظم ومركز ، والملاحظ أن المجتمع المحلى الصغير الطبيعى المكون من أعضاء دائمين . كالقرية ، أو البلدة ، أو جماعة الجوار – يجمع بين هذه العناصر كلها . فهو مجتمع محلى أيكولوجى وروحى يتميز فى العادة بعدد كبير من علاقات التفاعل الواقعية ، كما يتميز بعدد كبير من الأسس الكامنة لتعبئة الإحساس بالتضامن فى العضوية المشتركة .

المجتمع : القومى والدولى :

هناك نوع من الأنساق الاجتماعية يتميز بأنه أكبر من النظام الاجتماعى ، ومختلف عن المجتمع المحلى . ومع ذلك فهو لايوجد تلقائيًا بمجرد توفر مجموعة من النظم الاجتماعية كما أنه لايتكون تلقائيًا من كل مجموعة من المجتمعات المحلية ، ويمثل هذا النوع من الأنساق الاجتماعية أكبر وحدة يتناولها علم الاجتماع عادة ، وهو مايعرف باسم المجتمع .

وقد اقترح ماريون ليفى levi فى كتابه « بناء المجتمع » أربعة معايير ينبغى توفرها فى الجماعة قبل أن يصح لنا اعتبارها مجتمعا ، وهذه المعايير الأربعة هى : يجب أن تكون الجماعة قادرة على البقاء لمدة أطول من دورة حياة الفرد . كما يتعين عليها أن تضم إليها أعضاء جدد – على الأقل جزئيًا – عن طريق التكاثر الجنسى ، ويجب أن تتفق على الولاء لمجموعة مركبة مشتركة يطلق عليها اسم « نسق الفعل العام » وأخيرًا ينبغى أن يكون نسق الفعل هذا « مكتفيًا بذاته »[٧] والواقع أن المعيار الأخير فى هذه القائمة الرباعية يحتاج إلى شىء من الايضاح فنحن نعنى بمصطلح « نسق الفعل » المجموع الكلى للعادات الاجتماعية والقيم ، والأساليب القياسية للسلوك المشتركة بين أفراد الجماعة ، الذين تربط بينهم علاقات اجتماعية متبادلة مستمرة نسبيًا ، وقد تكون أنساق الفعل محدودة نسبيًا ، كما قد تكون بسيطة إلى حد ما ، فنجد مثلا أن العلاقات القائمة بين المدرسين والتلاميذ فى مدرسة معينة تمثل نسق الفاعل الخاص بهذه المدرسة . ونحن لانعتبر نسق الفعل « مكتفيًا بذاته » إلا عندما تهيئ القوانين ، والعادات الاجتماعية ، والتكنولوجيا الخاصة بجماعة معينة كافة الموارد والمعارف ، والسلطة الشرعية التى تنشأ عادة خلال الحياة الاجتماعية .

وطبقًا لهذا التعريف لاتعتبر ضاحية المدينة العادية فى الولايات المتحدة ، برغم ثقافتها المادية المتقدمة وتنظيمها المركب ، مجتمعًا بالمعنى الصحيح ، إذ ليست لديها القدرة على تنظيم عملية الدفاع عن نفسها ، كما أنها تضطر عادة عندما تريد مقاضاة قاتل إلى الاعتماد على شرطة الولاية أو

المنظمة ومحاكمها وسجونها وما إلى ذلك . كذلك الدير لايصح أن يكون مجتمعًا حتى ولو كانت قوانينه تغطى احتمالات التعامل مع القاتل ، لأنه لايكفل إضافة أعضاء جدد عن طريق التكاثر الجنسى ، غير أن هذه التحفظات فى جوهرها تحفظات فنية ، وهناك طريقة أكثر بساطة من هذا ، وإن كانت مفزعة بعض الشىء ، لتحديد ماإذا كانت جماعة ما تصلح لأن تكون مجتمعا أم لا . ذلك أن نتصور أن جميع المجتمعات المحلية الأخرى الموجودة فى العالم – فيما عدا هذا المجتمع – قد اختفت فجأة من الوجود . فإذا زادت احتمالات بقاء ذلك المجتمع واستمراره بصورته الحالية أساسًا مدى الأجيال المتتابعة فإنه يصلح عندئذ لأن يكون مجتمعًا والواقع أن أغلب القبائل البدائية ، مهما صغر حجمها ، وكذلك جميع الدول التى تقوم على أمم تستوفى هذا الشرط . أما إذا لم يستطع المجتمع أن يستمر فى البقاء تحت هذا الاختيار القاسى . أو أنه لايستطيع ذلك إلا من خلال تطوير أو نظم اجتماعية جديدة كثيرة ، كأن يضع نسقًا للقانون والعدالة لأنه كان يعتمد فى الماضى على نسق اجتماعى أكبر ، فى هذه الحالة لايستوفى ذلك الكيان شروط المجتمع الحقيق .

وقد يرى البعض أن السرعة المتزايدة لوسائل النقل والمواصلات ، وكذلك الطبيعة المتشابكة للاقتصاد العالمى والسياسة الدولية قد استطاعت بالفعل أن تخلق مجتمعًا متفاعلا يضم كافة الناس الذين يعيشون على سطح هذه الأرض ، وقد يؤكد البعض من خلال هذا المنظور أن هناك نسقًا **اجتماعيا عالميا** ، وتقوم المشاركة فى هذا النسق على أساس فردى فى جانب منها ، وعلى أساس الجماعات غير الرسمية من الجانب الآخر ، كما هو الحال بالنسبة للعلاقات القائمة بين الأقارب المتشرين فى مختلف البلاد ، كما قد تقوم المشاركة – فى جانب ثالث – بين كيانات ذات تنظيم رسمى كالشركات التى تمارس عملها على نطاق دولى أو منظمات الرعاية الاجتماعية الدولية ، كالصليب الأحمر مثلا ، على أن الجانب الأكبر من التفاعل الذى يتم داخل نطاق النسق الاجتماعى العالمى يرجع إلى العلاقات القائمة بين الدول كوحدات للتعامل ، أو على الأقل بين الأفراد والجماعات التى تكون بمثابة ممثلين أووكلاء لتلك الوحدات القومية ، وتتضمن تلك الأنشطة العلاقات الدبلوماسية ، والإشراف على التجارة وتحرك الأفراد ، وشئون الحرب .

ولا شك أن مسألة ما إذا كان نسق الفعل الذى تشارك فيه دول العالم يمثل مجتمعًا عالميًا حقيقيًا ، بالمعنى الذى نستخدمه هنا لكلمة مجتمع ، لاشك أن هذه المسألة تقبل النقاش وتحتمل أكثر من رأى . فالمسألة تتوقف تبعًا لتعريفنا على وجود نسق للفعل يتميز بأنه مشترك بين أفراد المجتمع ، وبأنه مكتف بذاته ، فإذا وضعنا المجتمع العالمى أمام هذا الاختيار ، وجدناه يفتقر إليه

بشكل صارخ فالقيم المشتركة بين أغلب شعوب العالم قليلة جدا . وأقل منها تلك القيم المشتركة بين حكوماتها إذ لم يتوصل المجتمع العالمى بشكل مرضى إلى وضع أساليب مسلم بها من الجميع لتسوية النزاعات تسوية سلمية ، وهو ما يعد عنصراً لا غناء عنه لأى مجتمع ، وبرغم وجود الأمم المتحدة ، فليست هناك سلطة منظمة قادرة على إلزام الدول الأعضاء بالخضوع للقرارات الجماعية ، ويبدو أننا اليوم أبعد عن المجتمع العالمى الحقيقى من ذلك النظام الذى عرفه العالم فى ظل سيطرة روما ، أو ذروة سلطة الكنيسة فى العصور الوسطى . ومع ذلك فإن هناك من الأسباب مايدعونا إلى الإحساس بأننا قد أصبحنا منذ الحرب العالمية الثانية أقرب إلى خلق مجتمع دولى ، بشكل يفوق الوضع فى أى مرحلة من القرون القليلة الماضية .

طبيعة العلاقات الاجتماعية

استطعنا من خلال دراستنا للعناصر الأساسية للتنظيم الاجتماعى أن نتعرف على النظام ، والمجتمع المحلى ، والمجتمع ، على اعتبار أن كلا منها يعكس درجة مختلفة من الاكتمال كنسق من أنساق الفعل الاجتماعى ، ولكننا فى تتبعنا لهذا الخط أهملنا النظر فى مجموعة أخرى من الفروق التى تتمتع فى علم الاجتماع بنفس المكان الأثير ونفس الاهتمام الطويل . ذلك أن أحد أساليب التحليل الرئيسية فى علم الاجتماع يركز- بصفة أساسية- على تردد **العلاقات الاجتماعية** وخصائصها المختلفة . ومن الممكن تطبيق هذا الاتجاه فى الدراسة على كافة الجماعات التى تناولناها بالمناقشة حتى الآن . فهى تدخل فى صميم النظم الاجتماعية ، وحياة الأسرة ، وجماعات الجوار ، والمجتمعات المحلية والمجتمع .

ويعد « **الفعل الاجتماعى** » أصغر وحدة يقوم التحليل السوسيولوجى بدراستها ، وقد تناول هذا الموضوع بالتفصيل رواد الفكر السوسيولوجى ، مثل ماكس فيبر ، وجورج هربرت ميد[٨] ولكنه ظل مع ذلك مفهوماً خادعاً ، صعب القياس إلى حد ما . ومن الواضح أن معظم المفكرين النظريين كانوا يضعون نصب أعينهم دائماً أصغر وحدة للفعل يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة . وتتميز تلك الوحدة بأن لها معنى مشتركاً واضحاً إلى حد ما بالنسبة للفاعل وللآخرين الذين يدخلون فى علاقة معهم ، ويمكننا أن نضرب فى هذا الصدد مثلا بسيطاً بحركة الجفن التى تتم فى أقل من اللحظة فإذا كنت « أطرف » بعينى تلقائياً ، خاصة كفعل منعكس لا أكثر ، فإن فعلى هذا يكون فعلا جسمانياً (فيزيقياً) ، وليس فعلا اجتماعياً . ولكن إذا كنت « أغمز » بعينى

لأوصل لمحدثى الذى أعتقد أنه قادر على فهم تلك الإشارة فكرة مؤداها « أننى أوافقك ، أو أؤيدك » ، فإن حركة جفنى هذه تصبح « فعلا اجتماعيًّا » . وإذا استجاب الشخص الآخر بالإيماء موافقًا أو بالابتسام ، ومن ثم نقل إلى استقباله للإشارة الصادرة منى ، فإن إيماءته هذه تعتبر هى الأخرى « فعلا اجتماعيًّا » . وإذا نظرنا إلى هذه الجزئيات فى تتابعها الواحدة بعد الأخرى ، لوجدنا أنها تمثل « تفاعلا اجتماعيًّا بسيطًا » فالعلاقات الاجتماعية يمكن أن نعتبرها مكونة من مجموعات أو مجموعات من سلاسل التفاعل هذه .

ومن الواضح أن هذه الأفكار تقودنا إلى عدد من التساؤلات المعقدة فقد نتساءل على سبيل المثال : هل يمكن أن يكون الفعل اجتماعيًّا حتى ولو أضفيت عليه أنا وحدى معنى معينًا ؟ وهل يكون اجتماعيًّا إذا لم يكن له معنى معينا بالنسبة لى ، وإنما له معنى عند الآخرين فقط ؟ ثم ماهو الوضع بالنسبة للأفعال « الداخلية » التى لايستطيع أحد آخر أن يلاحظها ملاحظة مباشرة ؟ ومن الأمور المختلفة عن هذا وإن كانت نفس القدر من الصعوبة ، مهمة تعيين حدود لبداية ونهاية أى فعل اجتماعى . فإذا لم أكن « أغمز » فقط ، وإنما ضحكت أيضًا وقلت « رائع جدًّا » فهل تعد كل وحدة من هذه الوحدات فعلا اجتماعيًّا متميزًا ، أم تعتبر سلسلة الوحدات كلها فعلا واحدًا ؟ ومن هذا يتضح أن هناك مشكلات حادة تواجه أولئك الذين يطمحون إلى تصنيف وقياس التفاعل فى أثناء البحوث الأمبيريقية .

ومن السهل أن يتوهم الشخص وجود علاقة تشابه بين المفهومين السوسيولوجيين « الفعل » و « العلاقة » من ناحية وبين مفهومى الذرة والجزىء فى الفيزياء ، ومفهومى الخلية والنسيج فى علم الأحياء من ناحية أخرى ، إذ تمثل هذه جميعًا (الفعل والذرة والخلية) الوحدات الأساسية التى تتكون منها جميع الأبنية الكبيرة الأكثر تعقيدًا فى تلك العلوم على التوالى . ومن ثم لاندهش عندما نجد كثيرًا من المفكرين النظريين فى علم الاجتماع يعملون على تطوير مجموعة من المصطلحات لتمييز مختلف أنماط العلاقات . ولزيادة فهمنا لها . والكتابات السوسيولوجية زاخرة بالمخططات والمشروعات التى تستهدف تصنيف العلاقات الاجتماعية ، وهى تتباين فيما بينها تباينًا كبيرًا من حيث درجة التعقيد ، والدقة ، والشمول . وربما كانت أفضلها جميعًا محاولة تشارلز كولى التمييز بين العلاقات الأولية والعلاقات الثانوية[٩] . والعلاقة الأولية فى رأى كولى هى تلك التى يسيطر عليها الارتباط والتعاون المباشر العميق . ويصبح الأفراد بفضلها أكثر انصهارًا فى كيان مشترك يتلخص فى التأكيد على تونيز Tonnies فى ألمانيا[١٠] . ودور كايم فى فرنسا[١١] .

ولم تستمر هذه التصنيفات قائمة فى ميدان العلم وحسب ، وإنما ظلت قائمة أيضًا صعوبة استخدام

المفاهيم بأى قدر من الدقة أو الإحكام . وكما أوضح كنجزلى دافيز فإن تأكيد كولى على الشعور بالنحن ؛ لا يمكن أن يعتبر العنصر المميز فى الجماعة الأولية ، طالما أن نفس هذا الشعور يلزم إلى حد مالأى مجتمع محلى مستمر فى البقاء بل أيد هذا الشعور ينبغى أن يكون موجوداً فى الأمم الكبرى ، التى لا يمكن أن يقوم فيها اتصال مباشر ووثيق – كما واضح – إلا بين شريحة صغيرة فقط من أعضائها[١٢] .

والمشكلة الواضحة هى أن تلك المفاهيم ، مثل مفهوم كولى عن الجماعة الأولية ، ومفهوم تونيز عن « المجتمع المحلى » Gemeinschaft تفترض التماسك الفعلى لمجموعة الجوانب المنفصلة للعلاقات الاجتماعية . مع أن هذه الجوانب قد ترتبط – فى الواقع الحسى – وقد لاترتبط بنفس الطريقة التى يتصورها رجل الاجتماع ، فتلك المفاهيم هى بمعنى آخر – تلخيص للواقع أقرب إلى الطابع الشامل المجمل ، وهى تعنى الجانب الفرضى أكثر مما تعنى شيئاً أبدته الظواهر الأمبيريقية . ولذلك كان من أهم الواجبات التى شغلت أتباع كولى وتونيز أن يتوصلوا إلى تحديد أدق لجوانب أى علاقة اجتماعية . ولا شك أن التبرير الأساسى لتلك الجهود التى تستهدف الوضوح النظرى هو أن تعيين الفروق النظرية بشكل أكثر دقة سوف يشجع القيام بملاحظات وقياس أدق . وسوف يمكننا تراكم البيانات القائمة على الملاحظة المباشرة من وصف النمط الفعلى للارتباط بين مختلف أبعاد التفاعل بشكل أكثر دقة . وهو الارتباط الذى **نفترض** وجوده ونحن نستخدم مفاهيم مثل « الجماعة الأولية » .

ومن الواضح أن هناك تمييزًا يجب أن ننتبه إليه عند وصف أى علاقة اجتماعية ، هو التمييز بين الجوانب الكمية والجوانب الكيفية لتلك العلاقة . وتتضمن العناصر الكمية فى المقام الأول . عدد الأشخاص المشتركين فى نسق الفعل ، وتركزهم أو انتشارهم فى منطقة جغرافية معينة ، ودرجة كثافة تفاعلهم مع بعضهم بعضًا ، والاستمرار النسبى للارتباط بينهم .

أما الجوانب الكيفية للتفاعل فالاتفاق حولها أكثر صعوبة من هذا . وقد حدد كنجزلى دافيز خمس سمات يمكن الاعتماد عليها – إذا اجتمع إليها بعض المعلومات عن الجوانب الكمية (التى يسميها « الظروف المادية » – كأساس لتمييز العلاقات الأولية عن العلاقات الثانوية[١٣] ويقدم دافيز أمثلة لتلك العلاقات على المستوى الثنائى ، وعلى مستوى الجماعة الكبيرة ويعرض الجدول رقم(١) لتصوره هذا .

الجدول رقم (١)

العلاقات الأولية والثانوية*

العلاقات الأولية

الظروف المادية	السمات الاجتماعية	نماذج للعلاقات	نماذج للجماعات
التجاور المكانى العدد الصغير الاستمرار الطويل	تماثل الغايات التقويم الداخلى للعلاقة التقويم الداخلى للأشخاص الآخرين المعرفة الشاملة بالأشخاص الآخرين الشعور بالحرية والتلقائية تأثير وسائل الضبط غير الرسمية .	الصديق – بالصديق الزوج – بزوجته الأب – بابنه المدرس – بتلميذه	جماعة اللعب الأسرة القرية أو جماعة الجوار ، فريق العمل

العلاقات الثانوية

الظروف المادية	السمات الاجتماعية	نماذج للعلاقات	نماذج للجماعات
الاتساع المكانى العدد الكبير الاستمرار القصير	تباين الغايات التقويم الخارجى للعلاقة التقويم الخارجى للأشخاص الآخرين المعرفة الخاصة والمحدودة بالآخرين الشعور بالقيود الخارجية تأثير وسائل الضبط الرسمية	البائع – والعميل المذيع – والمستمع الممثل – والمتفرج الضابط – وجنوده المؤلف – والقارئ	الأمة الاكليريكية الاتحاد المهنى الشركة

* المصدر Kingsley Davis, Human Society, New York, Macmillan, 1957, p. 306.

ويعد مخطط البروفسور ديفيز هذا صورة مغايرة لمخطط آخر أكثر شهرة ذلك الذى وضعه تالكوت بارسونز[١٤] وهو يستعين « بخمسة متغيرات نمط » ، لتمييز الجوانب المختلفة لأى علاقة اجتماعية ، ويرى بارسونز أننا فى أى وقت نؤدى فيه فعلا اجتماعيًا ، وفى كل دور نمارس فيه الفعل ، نؤكد فى الحقيقة على جانب أو آخر من هذه الأقسام الرئيسية الخمسة ، فإذا كان الدور **متخصصًا** ، فإن علاقتنا تقتصر على تبادل بعينه محدد تحديدًا دقيقًا ، أما إذا كان الدور منتشرًا ، فإن التزامنا سوف يمتد ليشمل فئة عريضة من المشكلات أو العلاقات ونحن نؤكد إما على **الوجدانية** (أى الشعور ، والعاطفة ، والرضا) ، أو على **الحياد الوجدانى** ، وهو ما يعنى أننا نؤكد أكثر على الاعتبارات العملية المفيدة ، أو الاعتبارات الأخلاقية ، وقد نبدى سمة **الخصوصية** عندما نبدى اهتمامًا خاصًا بالناس بسبب علاقتهم بنا ، على حين أننا فى حالة العمومية نعامل كافة الناس الذين يتصلون فى وضع معين معاملة متماثلة تقريبًا . أما إذا كانت معاملتى لك تتوقف أساسًا على ما أنت عليه بالفعل ، فى مقابل ماتفعله أو ما فعلته ، فإننى بذلك أرجح **النوعية على الأداء** ، أما إذا كان اهتمامى منصبا أساسًا على تحقيق أهداف الجماعة فإننى أظهر اهتمامًا **بالمصلحة الجمعية** ، أما إذا كنت أكثر اهتمامًا بتحقيق مصالحى الخاصة من خلال علاقاتى ، فإننى أرجح **المصلحة الذاتية** . فإذا درسنا علاقات الزوج بزوجته . بل جميع العلاقات القائمة داخل الأسرة النووية فى ضوء متغيرات النمط هذه ، وجدنا أنها تميل إلى الانتشار ، والوجدانية ، والخصوصية ، وتعكس تأكيدًا على النوعية ، والمصلحة الجمعية ، أما العلاقة بين البائع والعميل فإنها تقع على الطرف المقابل لكل مقياس من هذه المقاييس الخمس .

والدقة فى تحديد المفاهيم شرط لازم ، وإن لم يكن كافيا ، لإجراء ملاحظة أمبيريقية دقيقة . فبعد عقود من الحديث عن عناصر التفاعل داخل الجماعة ، استطعنا أخيرًا بعد الحرب العالمية الثانية أن نبدأ – على أساس منهجى – قياس مضمون التفاعل الاجتماعى قياسًا دقيقًا . ومن أبرز الجهود التى بذلت فى هذا الصدد بحوث البروفسور روبرت بيلز فى معمل العلاقات الاجتماعية التابع لجماعة هارفارد ، وقد أحرز تكنيك البروفسور بيلز – الذى يعرف باسم تحليل عملية التفاعل – قدرًا كافيا من التقدم بحيث أصبحنا نستطيع من خلال دراسة مظهر التفاعل الذى يتم فى أثناء مناقشة داخل إحدى الجماعات أن نحدد للوهلة الأولى ما إذا كانت تلك الجماعة غير راضية . أوكانت تتمتع بروح معنوية عالية ، وقد سبق أن أعطيت نموذجًا لذلك فى الجدول رقم (٥) فى الفصل السابع من هذا الكتاب .

دراسة القيم :

على الرغم من أن أبرز الانتصارات التى تحققت فى الملاحظة المباشرة للعلاقات بين الأشخاص وفى قياس التفاعل قد تمت داخل المعمل إلا أنه أمكن كذلك إحراز تقدم كبير فى دراسة العلاقات فى الحياة الواقعية ، إلا أن هذه الدراسات غالبًا ما تتناول القيم المتعلقة بالعلاقات الإنسانية وليس السلوك الذى تتم ملاحظته بشكل مباشر.

ويحظى مصطلح « القيم » فى علم الاجتماع بنفس الأهمية تقريبًا التى يحظى بها مصطلحا « النظام الاجتماعى » ، و « النسق الاجتماعى » إذ يقال إن الأفراد ، والجماعات ، والتنظيمات ، والمجتمعات ، والثقافات لها قيم معينة ، أو تبدو فيها قيم معينة ، أو تعمل على بلوغ قيم معينة ، ولا يختلف مصطلح القيم كثيرًا عن غيره من أغلب مصطلحات علم الاجتماع فى أنه مثقل بتعريفات كثيرة ، وإذا استعرضنا التعريفات العديدة للقيم التى قدمها علماء الاجتماع وعلماء الأنثربولوجيا ، وجدنا أن العنصر المشترك بينها هو الإجماع على أن القيم تعد تعبيرًا عن الغايات ، أو الأهداف البعيدة (النهائية) للفاعل الاجتماعى ، فالقيم لاتتعلق بما هو كائن فعلا ، وإنما بما ينبغى أن يكون ، فهى بمعنى اخر تعبير عن بعض الدوافع الأخلاقية والفعالة . وهكذا فعندما نجد فيبر يوضح أهمية الاتزان ، والأخلاق الصارمة فى المعاملات التجارية ، وتجنب الانغماس فى الشهوات فى نظر بنيامين فرانكلين ، فهو بذلك يصف القيم التى يؤمن بها فرانكلين . ويكاد أى جانب من جوانب أى علاقة اجتماعية أن يصبح موضوعًا لقيمة معينة ، هذا إذا لم يكن ذلك قد حدث بالفعل فى مكان ما . فالأمانة والنفاق ، والصمت ، والثرثرة ، والاتزان والانفعال ، والنشاط الذى لايعرف هوادة ، والاستسلام السلبى ، كل تلك كانت محل نظرة قيمية عميقة فى المجتمعات المختلفة .

ويبدو أن أغلب المجتمعات قد أدركت إلى حد كبير نفس المدى من الخصائص الإنسانية ومن جوانب العلاقات ، ولكن الفروق الرئيسية بين الثقافات المختلفة تكمن فى القيمة التى تضفيها تلك الثقافات على هذه الخصائص ، فتعتبرها هامة أو قليلة الشأن . أو تعتبرها خيرًا أو شرا . فهناك مجتمع يقدر العدوان ويستهجن السلبية ، ومجتمع آخر على عكس ذلك.بينما قد يكون هناك مجتمع ثالث لايهتم كثيرًا بهذا البعد على الإطلاق ، وإنما يهتم بدلا من هذا بتفضيل الاتزان على الانفعال . وهو أمر لاتكون له أدنى أهمية فى كلا الثقافتين السابقتين[١٥] .

وكما كان الحال بالنسبة لدراسة التفاعل الاجتماعى ، لم يستطع علماء الاجتماع إلا بعد الحرب

العالمية الثانية أن يتجاوزوا مجرد تعريف القيم ومناقشتها ، إذ بدءوا بعد ذلك يدرسونها بشكل إيجابى عن طريق قياس طبيعتها وتوزيعها ، ومن أعقد وأطرف تلك الجهود الدراسة التى أجرتها . فلورنس كلاكهون . فقد بدأت بتعريف بعض المشكلات الإنسانية الأساسية المشتركة التى كان على جميع الشعوب فى جميع العصور أن تجد حلا لها[١٦] وتؤكد كلاكهون أن كافة المجتمعات تتخذ موقفًا قيميًّا معينًا من علاقة الإنسان بالأفراد الآخرين ، وبالطبيعة ، وبالزمن ، وبالنشاط . وترى أن كافة الثقافات قد اكتشفت نفس المدى تقريبًا من المواقف أو البدائل التى يمكن أن يتخذها الفرد إزاء مشكلات الحياة هذه ، إلا أن الثقافات المختلفة تضفى قيمة مختلفة على كل من تلك البدائل .

ولكى تدلل الدكتورة كلاكهون على وجهة نظرها قامت بدراسة خمس مجتمعات محلية صغيرة يتميز كل منها بأسلوب فى الحياة واضح الاختلاف عن الباقين ، إلا أنها تشترك جميعًا فى أنها تسكن نفس المنطقة فى جنوب غرب الولايات المتحدة . وضمت تلك المجتمعات .

١ – إحدى مستعمرات المرمون*

٢ – مستعمرة لسكان تكساس القدامى .

٣ – إحدى قرى الأمريكيين الإسبان .

٤ – أحد معسكرات إقامة أبناء قبيلة الزونى .

٥ – أحد معسكرات أبناء قبيلة النافاهو . وكلا القبيلتين من قبائل الهنود الحمر .

وقدمت كلاكهون لعينات من أفراد كل مجتمع محلى نفس المجموعة من المواقف الإنسانية الأساسية ، وقامت بتسجيل الحلول البديلة التى كانوا يختارونها . وتبينت فى النهاية أن الجماعات مختلفة عن بعضها اختلافا حقيقيًّا – « ولم تختر أى ثقافتين من الثقافات المدروسة تمامًا نفس النوع من الحلول التى تفضلها لأى من التوجيهات القيمية »[١٧] .

إلا أنه تبين أن الجماعتين الناطقتين باللغة الإنجليزية كانتا أقرب إلى بعضهما ، على الرغم من اختلافهما فى بعض النواحى الهامة وبدا أنهما تمثلان أحد قطبى الموقف ، بينما يمثل الأمريكيون الإسبان القطب الآخر . أما الجماعتان الهنديتان فتقعان فى مكان مابينهما ، ونجد على سبيل المثال أن أهل تكساس كانوا أقرب إلى الطابع الفردى ، أقل اهتمامًا بأفراد الأسرة الممتدة ، كما كانوا متطلعين إلى المستقبل . وليس إلى الماضى ، يميلون إلى النظر إلى الإنسان كشىء فوق الطبيعة وليس خاضعًا لها . أما فيما يتعلق ببعد النشاط فكانوا يهتمون بالعمل فى المقام الأول . على خلاف هذا

* طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف شميث عام ١٨٣٠ . (المترجم)

كان الأمريكيون الإسبان يؤكدون على مبدأ تسلسل الأصل (أى المبدأ الذى ينظر إلى الفرد أساساً فى ضوء موقعه من التسلسل المنظم للأوضاع الاجتماعية المستمر عبر الزمن) كما كانوا أكثر تطلعًا إلى الحاضر منهم إلى المستقبل ، وينظرون إلى الإنسان كخاضع للطبيعة ، ويفضلون الوجود على العمل [١٨] .

كذلك تتيح الدراسات المسحية للرأى العام ، خاصة تلك التى بدأت تجرى مؤخرًا على مستوى عالمى ، الكلام بشكل أصح عن توزيع القيم فى جماعات كبرى تصل إلى حجم الأمم ، من هذا مثلا أنه طلب فى عام ١٩٥٨ من بعض الأفراد البالغين فى ١١ دولة أن يدلوا برأيهم فى بعض القيم التى يرونها فى غاية الأهمية لكى تلقن للأطفال ، ويلخص الجدول رقم (٢) بعض نتائج تلك الدراسة .

الجدول رقم (٢)

القيم الهامة فى تربية الأطفال

موضحة بالنسب المئوية تبعًا للبلد وللمستوى الاقتصادى والاجتماعى *

الدولة وقيم تنشئة الطفل	المستوى الاقتصادى الاجتماعى		
	الأعلى	الأوسط	الأدنى
استراليا			
الطموح	٥	٣	٨
الخضوع للوالدين	١٣	١٧	٢٣
الاستمتاع	٠٠	٠٠	١
الثقة فى الله	٢٦	٣٣	٢٥
الهدوء والأمانة	٦٠	٥١	٤٥
لايعلم	٥	٤	٣
عدد المبحوثين	٩٤	٣١٣	٣٦٧
الدانمرك			
الطموح	١١	١٣	٩
الخضوع للوالدين	١٤	١٨	١٥
الاستمتاع	٢	١	٣
الثقة فى الله	١٦	٩	١٠
الهدوء والأمانة	٥٤	٥٦	٦١
لايعلم	٣	٣	٢
عدد المبحوثين	١٦٧	٣٩٠	١٢٩

* المصدر .

Data Provided by International Research Associates, from a release of March, 13, 1958. Alex Inkeles, "Industrial Man: The Relation of Status to Experience, Perception and Value", American Journal of Sociology, january, 1960, 66, 224.

الدولة وقيم تنشئة الطفل	المستوى الاقتصادى الاجتماعى		
	الأعلى	الأوسط	الأدنى
اليابان			
الطموح	٢٠	٢٤	٢٢
الخضوع للوالدين	٦	٩	١٩
الاستمتاع	٤	٣	١
الثقة فى الله	٤	٤	٦
الهدوء والأمانة	٦٤	٥٨	٤٦
عدد المبحوثين	٣٦٨	٤٢٢	٦٩
هولندا			
الطموح	٨	٤	٣
الخضوع للوالدين	٤	٩	١٢
الاستمتاع	١	٢	٢
الثقة فى الله	٤٠	٤١	٣٧
الهدوء والأمانة	٤٦	٤٨	٥٠
لايعلم	٤	٢	٢
عدد المبحوثين	٢١٤	١٤٧	١٤٢

واتضح أن الهدوء والأمانة كانت أهم القيم على الإطلاق فى جميع البلاد ، وفى كافة المستويات الاقتصادية ، حيث وقع عليها اختيار المبحوثين تقريباً . ويدل هذا على أن هناك بعض القيم التى تحتل نفس الدرجة من الأهمية لدى جميع الشعوب ، مما يعد أساساً لافتراض وجود مجموعة من القيم المشتركة بين كافة البشر ، إلا أنه تبين كذلك وجود فروق بعيدة فى الأهمية النسبية لقيم أخرى فى الدول المختلفة . وبدا بشكل واضح أن الطموح يمثل ثانى أهم قيمة لدى جميع الطبقات فى اليابان . بينما كان ذا قيمة ثانوية جداً فى أستراليا وهولندا . كذلك كانت قيمة « الثقة فى الله » ذات أهمية فائقة فى الدانمرك وفى أستراليا ، بينما لم يكد يرد لها ذكر عند اليابانيين ، مما يجعلها جديرة بأن تلقن للصغار .

إن أساليب البحث التى بلغت درجة عالية من الإتقان ، والتى وضعت لملاحظة وتسجيل التفاعل الإنسانى بشكل مباشر ، وكذلك الخطوات الواسعة التى أصبح بوسعنا الآن أن نقطعها فى دراسة القيم المتصلة بالعلاقات بين الأشخاص ، والتى تؤمن بها جماعات كبيرة كأبناء أمة بأكملها ، إن ذلك كله يوحى بأن الدارسين الذين يعتبرون علم الاجتماع هو فى الأساس علم دراسة العلاقات الاجتماعية سوف ينجحون خلال العقود القليلة القادمة ، وبفضل نوعية بحوثهم ، أن يكسبوا مزيداً من الأنصار والمؤيدين لوجهة نظرهم .

هوامش الفصل الأول

(١) David F. Aberle, et. al., "The Functional Prerequisites of a Society", Ethics (1950), LX: 100-111

(٢) Clyde Kluckhohn, "Universal Values and Anthropological Relativisim", Modern Education and Human Values (Pittsburgh: Uuniversity of Pittsburgh Press, 1952), pp. 87-112, and "universal Categories of Culture", in A.L. Kroeber (ed.), Anthroplogy Today (Chicago:university of Chicago Press, 1958), pp. 507-523.

هذا وقد نشرت ترجمة عربية لهذا المقال الهام ، انظر : كلايد كلاكهون ، « المقولات العامة للثقافة » ، ترجمة فاروق عبد القادر ، مجلة مطالعات فى العلوم الاجتماعية ، شتاء ١٩٥٨ – دار المعارف ، القاهرة ، ص ص ٩ – ٣٤ (المترجم)

(٣) سوف نقوم بتعريف مصطلح « الفعل الاجتماعى » Social action ومناقشته فيما بعد الفقرة الخاصة بالعلاقات الاجتماعية .

(٤) انظر مؤلفه :

William graham Sumner, Folkways, Boston, Ginn, 1906, 692 pp.

وقد قدم الدكتور أحمد أبو زيد دراسة تحليلية لهذا العمل الكبير فى مقاله : « الأساليب الشعبية ، دراسة تحليلية لآراء ويليام جرهام سمنر » ، المنشور فى : أحمد أبو زيد وزملاؤه ، دراسات فى الفولكلور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، من ص ٩٩ – ١٣٧ . (المترجم)

(٥) سنقوم بتعريف القيم كمصطلح من مصطلحات علم الاجتماع ومناقشتها فى موضع لاحق من هذا الفصل .

(٦) Edward B. Reuter, Handbook of Sociology, New York, Dryden, 1941, p. 113.

(٧) Marion Levy, The Structure of Society (Princeton: Princeton university Press, 1952) p. 113.

(٨) Max Weber, (A. Henderson and Talcott Parsons, trans). Theory of Economic and Social Organization, New York Oxford university Press, 1947, especially pp. 88-112; George Herbert Mead (C.W. Morris, ed.) Mind, Self and Society, Chicago, university of Chicago Press, 1934, and (C.W. Morris, ed.) The Philosophy of the Act, Chicago, University of Chicago Press, 1950.

(٩) Charles H. Cooley, Human Nature and the Social Order, New York, Scribner, 1902.

(١٠) Ferdinand Tonnies (C.P. Loomis, trans), Fundamental Concepts of Sociology, New York, American Book, 1940.

(١١) Emile Durkheim, (G. Simpson, Trans.) The Division of Labor in Society, Glencoe, III, the Free Press, 1949.

(١٢) Kingsley Davis, Human Society, New York, Macmillan, 1957, p. 303.

(١٣) انظر المرجع السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٨ .

(١٤) Talcot Parsons, The Social System, Glencoe, III., The Free Press, 1951.

(١٥) للرجوع إلى مرجع عام واحد ، انظر :

Charles Osgood, The Measurement of Meaning, urbana, university of Illinois Press, 1957.

(١٦) **Florence Kluckhohn and Fred 1. Strodtbeck, Variation in Value Orientation, New York, Horper and Raw, 1961, p. 10**

(١٧) المرجع السابق ، صفحة ١٧٢ .

(١٨) المرجع السابق ، صفحة ١٧٠ وما بعدها .